وجع القلب

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

وجدت بالتجربة أنى لا أستطيع أن أحب كما تريد المرأة من الرجل — ولست أعنى أنى عاجز عن الحب ، فما أعرف لى فى هذه الدنيا عملاً غير ذلك . فأنا أحب الطعام الجيد والشراب اللذيذ والنوم الهنىء والراحة التامة ؛ وأحب الكتب والصديق الموافق الذى لا ينغص الحياة على صاحبه بطول المخالفة وكثرة المكابرة ودوام الشذوذ ؛ وأحب أشياء كثيرة لا أستطيع أن أحصيها . ولكنى أحب نفسى وهذا هو البلاء الأكبر . وليس هو ببلاء ، إذا أردت الحق ، ولكن المرأة تراه كذلك . وعندها أنك تبيع نفسك حين تحبها . ولا بأس بأن يبيع المرء نفسه أحياناً ، ولكن بيعها لا يستلزم أن تترك حبها وتكف عنه . وهل يعقل أن تفيض حبك على الناس والأشياء ولا تختص نفسك ببعض هذا « الفيضان ؟ » غير أن غير المعقول عندك هو المعقول عندها والذى لا يجوز خلافه ولا صبر لها على سواه ، فهى من أجل ذلك تسود عيشك وتريك النجوم فى الظهر الأحمر . على أن الرجل يستطيع أن يخفى حبه لنفسه أو يموهه ويستره بما يحجبه ، ولا أظن أن فى هذا عسراً فأنه يفعل هذا كل ساعة ولا يزال يعزو أعماله إلى بواعث أخرى يظنها أشرف وأسمى من حب النفس ، فهو مثلاً يأكل لا لأنه يشتهى الطعام بل لأن من واجبه أن يحرص على أن يظل قوياً قادراً على خدمة النوع الانسانى ، وعلى هذا قس ! غير أن هناك ما لا سبيل إلى ستره وكتمانه أو تمويهه ، إذ من الواضح مثلاً أن من العبث أن تنظر إلى اليمين وأن تروح تزعم أنك إنما كنت تنظر إلى الشمال ، فان اتجاه العين لا يخفى ولفتة الوجه لا مغالطة فيها . فاذا كانت النظرة إلى امرأة وأنت مع أخرى فالويل لك ولست مسئولاً عنك .... قالت لى مرة إحداهن وأنا معها وقد رأت عينى تدور : « بص هنا » وجذبتنى من ذراعى ، فقلت وأنا مستغرب : « ولماذا لا أبص هناك ؟ » قالت : « كده » بهذا الايجاز الذى لا يفيد شيئاً ؛ فقلت : « كده يعنى ماذا ؟ » قالت : « كده » ولم تزد . فضاق صدرى فقد عجزت أن أفهم سر هذا الأمر المتعب أو حكمته وقلت : « ياستى .. إن الله قد خلق عينى متحركة غير ثابتة فكيف ألزمها الثبات ؟ ثم هبينى استطعت ذلك فلماذا أتكلفه ؟ »

فقالت : « عيب ! »

فصحت « عيب ؟؟ ياخبر اسود !! »

فقالت : « لا يليق أن تنظر إلى الفتيات فى الطريق »

ففهمت ولكنى لم أقتنع وقلت : « إن لى على هذا وداً طويلاً فهل تسمحين بأن تسميه ؟ »

قالت بتهكم : « نعم يا سيدى ... »

فتجاوزت عن لهجة السخرية إذ حسبى موضوع واحد للخلاف وقلت : « أولا — لماذا تظهر الفتيات لنا معاشر الرجال فى الطريق إذا كن لا يردن أن ينظر اليهن أحد ؟ ثانياً — وهذا أهم — لماذا يظهرن فى حفل من الزينة إذا كان لا يرضيهن أن يدير الرجال فيهن عيونهم ؟ ثالثاً — وهذا هو الأهم — بأى وجه ألقى الله يوم القيامة إذا كنت أغمض عينى وأتكلف العمى ولا

ولهم عقول عجيبة فى اختراع الألفاظ حتى لتكون شدة الوضوح فى عبارة هى بعينها الطريقة لاخفاء الغموض فى عبارة أخرى . وكثيراً ما يأتون بألفاظ منتفخة تحسب جزلة بادنة قد ملأها معناها وهى فى السياسة ألفاظ حبالى تستكمل حملها مدة ثم تلد

ولهم من بعض الكلمات السياسية كما لهم من بعض الرجال السياسيين ، فيكون الرجل من دهاتهم رجلاً كالناس وهو عندهم مسمار دقوه فى أرض كذا أو مملكة كذا ، ويكون اللفظ لفظاً كاللغة وهو مسمار دقوه فى وثيقة أو معاهدة

ثم ضحك الباشا وقال : إن أرضنا تخرج القطن وسياستنا تخرج ألفاظاً كالقطن لا توضع فى المغزل إلا مدت وتحولت[1] . وإذا ذهبنا نخالفهم فى التأويل والتفسير لم نجد عندنا المعجم السياسى الذى يملى النص . أتدرى يا بنى ما هو المعجم السياسى ؟

أما إنه لو كان كتاباً يتألف من مليون كلمة لذهبت كلها عبثاً وباطلاً وهراء ، ولكنه ذلك المعجم الحى ، ذلك المعجم الذى يتألف من مليون جندى .....

(طنطا) محمد عبد الرحمن مرحبا

(١) لا ينس القارىء أن هذا كان فى سنة ١٩٢٠

أنظر إلى مخلوقاته التي أبدعها ؟؟ وقد خلق لي عينين فلا عذر لي ، ورزقني غير ذلك وسائل القدرة على إدراك معاني الجمال في خلقه سبحانه .. أليس من الواضح أن مما يخجلني يوم القيامة أنه تعالى خلقني بصيراً فآثرت العمى ، ومحساً مدركا ففضلت الجهل والبلادة ؟؟ وأخيراً — لا آخرا — ما الضرر على كل حال من النظر إلى الناس ؟؟ ماذا خسرت الفتاة التي نظرت اليها ؟ .. هل أنا أكلتها بعيني ؟ هل نقصت شيئاً ؟؟ إني أراها على العكس قد زادت ... نعم زادت ... لماذا تنظرين إلى هكذا ؟؟ هل نطقت كفراً ؟؟ أقول لك زادت لأنها استفادت إحساساً جديداً مؤيداً لاحساسها بجمالها ، ولو كنت لم أنظر إليها لكانت خليقة أن يساورها الشك فيما تحس من نفسها أو تعتقد ، فأنا قد افدتها راحة البال واطمئنان الخاطر ، وإني لجدير بالشكر على هذا لا اللوم »

فصاحت بي بعد طول الصمت : « طيب اسكت بقى »

فقلت وأنا ضجر : « هكذا أنتن يا نساء ! ! إذا أعوزتكن الحجة قلتن : طيب اسكت بقى .. ولكني لا أنوى أن أسكت « بقى » فقد مرن لساني على الدوران وأنا أحس اليوم أني أوشك أن أقول كلاماً بديعاً »

فصاحت بي : « أنا معك فكيف تنظر إلى غيرى ؟ »

فقلت : — وقد فهمت — « آه .... هذه هي المسألة ... قولي هذا من الصبح يا ستي ... نعم أنت معي ... وإنك لحسبي من عالم الجمال والفتنة ، ولو وسعني غير هذا لما كنت حسبي ... ولكني قانع غير متذمر ... غير أنك مع الأسف لست كل النساء .. وأنت تغنين عن جنسك أحياناً ولكنك لا تستطيعين أن تغني عن هذا الجنس في كل حين ؛ وليس ذنبي أنك قاصرة . »

فقاطعتني صائحة : « قاصرة ؟؟ أشكرك »

قلت : « نعم قاصرة عن اختزال جنسك كله في شخصك الواحد »

فأبت أن تسمع مني بعد ذلك فقلت : لا حول ولا قوة إلا بالله .. الأمر لله ... سكتنا يا ستي .. فلعلك تكونين مسرورة »

ولكنها لم تكن مسرورة ولم تغفرها لي قط ... وأنا أقول تغفرها بغير تعيين أو تبيين لأني والله لا أدري إلى هذه الساعة أي شيء أغضبها وأثار نقمتها على

وحدث مرة أخرى أن كلفتني أن أشتري لها فاكهة وكنت أعرفها تحب الجوافة حباً جماً فانتقيت حبات طيبة الرائحة ذكية العبق واشتريت لها فاكهة أخرى ، ولكن الجوافة كانت هي المهمة والتي عليها الكلام ؛ وذهبت بحملي اليها ، ودخلت به حجرة الانتظار ، وقلت لخادمتها : « قولي لسيدتك صباح الخير يانور العين . لقد حضر سيدك ، ونور عينك اليمنى — واليسرى أيضاً في الحقيقة — ومعه حمل بعير من الجوافة بل من أبدع أنواعها »

فذهبت الخادمة وأبلغتها الرسالة فأطلت تلك من باب غرفتها — برأسها فقط — وصاحت وهي فرحة — صحيح ؟؟ جوافة ؟؟ حلوة !؟ »

ففتحت الكيس وأخرجت واحدة ورفعتها لها بين أصابعي وأدرتها أمام عينيها فابتسمت ابتسامة السرور وقالت : « حالاً . حالاً ... دقيقة واحدة » ودخلت

وبقيت أنا أتمشى في الحجرة ، ولم يكن فيها ما يسلي المرء ، ولم يكن معي كتاب أقرأه وأزجي به الفراغ فجعلت أقوم وأقعد ، وأنظر تارة في المرآة ، وأمسح الطربوش تارة أخرى ، وأنفض عنه ما علق به من التراب . . ومسحت الحذاء أيضاً . . مسحته مرتين حتى صار جلده كالمرآة ، وحتى حدثتني نفسي أن أخلعه أنظر إلى وجهي فيه ، ولكني خفت أن تدخل علي وأنا أفعل ذلك . . وتأملت الحرير الذي كسيت به الكراسي ، ورفعت طرف السجادة وجسستها وفركت وبرها بأصابعي ، ثم لم أجد شيئاً آخر أصنعه في هذه الغرفة ، فانحططت على كرسي كبير وثير واضطجعت وفي مأمولي إذا نمت ألا توقظني حين تدخل . ولكني لم أنم لأن رائحة الجوافة الذكية كانت قوية ، فقد نسيت الكيس الذي هي فيه مفتوحاً ، فتسور إلى أنفي أريجها وملأ صدري وأدار رأسي ، فأحسست بالجوع ولكني ضبطت نفسي وشددت على اللجام وقلت : « أللهم اخزك يا شيطان ! » غير أن الشيطان شديد الغواية قوي الفتنة فجعل يقول لي : « وما حبة واحدة تأكلها فتنيم بها هذه الثعالب التي تمزق أحشاءك ؟ » فقلت : « والله لقد صدق اللعين .. فلآكل حبة واحدة من الجوافة اللذيذة .. ثم إن هذا عدل . . أفأحلها وأحرمها ؟ ؟ وأكون كالعير التي يقولون إنها

يقتلها الظمأ وهي تحمل الماء على ظهورها في القرب ؟ أو كالحمار الذي يحمل أسفاراً ؟ ؟ . »

ومددت يدي إلى الكيس وأنا يقظان كنائم ، وتناولت منه من غير أن أنظر إليه : وطابت الجوافة في فمي ، فأقبلت عليها آكل وآكل — ولكن بغير احتفال والله — وإذا بصاحبتنا تدخل مؤهلة مرحبة باسطة يديها للسلام ، ثم إذا بها تقف في وسط الغرفة الفسيحة وعينها مفتوحة جداً عليّ ، فلم أستغرب ، فقد كان فمي محشوا وأسناني تعمل دائبة كالليل والنهار . وتنبهت إلى واجبي حين رأيتها تحملق على هذا النحو ، فبادرت ما بقي في فمي بسرعة ، ومططت عنقي ليسهل الانزلاق — أعني البلع — وانحنيت على الكيس لأتناوله وأقدمه إليها وأسرها به — أعني بالجوافة التي فيه — وإذا به ينطبق بين يدي لأنه فارغ ! !

الحق أقول إني بهتّ ، فما كان يخطر لي في بال أن آكل كل هذه الجوافة . ولو أن إنساناً راهنني أن أفعل لفزعت وأشفقت على نفسي ، ولكن هذا الذي لم أكن أحسب أن لي قدرة عليه وقع اتفاقاً . . وقد سرني هذا في الحقيقة لأنه كان من بواعث الاطمئنان لي على صحتي ، وكان جديراً بها أن تهنئني وتفرح لي ، فان الجوافة كثيرة وهي في السوق أكوام عظيمة ، والجيد الطيب ليس بالقليل ، وثمنه شيء تافه لا يستحق الذكر ... ولكنها وجمت يا أخي لا أدري لماذا ؟ ووقفت جامدة لا تتحرك كأنما سمرت إلى الأرض ، فأزعجني ذلك وخفت أن يكون قد أصابها شيء لا قدر الله ، وأقبلت عليها أسألها عما جرى لها ؛ فلما أفاقت أشارت بيدها — دون أن تتكلم — أن اذهب . . اذهب ولا تُرني وجهك ! فاستغربت أن تلقاني بهذه الجفوة بعد ذلك الترحيب والتأهيل والبشر الذي كان يفيض به وجهها وهي مطلة به من بين مصراعي الباب ، وتمنيت لو أنها تبقى أبداً ووجهها بين المصراعين ليبقى لي بشرها وحلاوة ابتسامها ! !

الحق أني لا أفهم النساء .... وهل تستطيع أنت أن تفهم كيف يفسد الحال وتقع النبوة بين رجل وامرأة من أجل أقة من الجوافة ثمنها قرش ونصف قرش ؟ إن كنت تفهم هذا فاني أحسدك وأدعو لك بالتوفيق إن شاء الله

ابراهيم عبد القادر المازني

صور سياحية

١ ـ فرنسا وباريس

بقلم سائح متجول

تأثرت مصر بالثقافة الفرنسية طوال القرن الماضي ؛ ولم يكن ذلك لأن مصر أمة من أمم البحر الأبيض تميل بخواصها وموقعها إلى الأخذ بالثقافة اللاتينية ، ولكن لأن ظروفا خاصة اجتمعت منذ الغزوة البونابارتية لتحمل مصر فيما بعد على الاستعانة بالفرنسيين في مشروعات الاصلاح والتجديد وإرسال بعوثها العلمية الأولى إلى فرنسا . هذا هو الأصل في تأثر مصر بالثقافة الفرنسية ، وهو عارض تاريخي محض ، لا دخل فيه للعوامل الجغرافية أو الميول والخواص الجنسية ؛ ومن ثم فاننا نرى أثر الثقافة الفرنسية في مصر يضمحل اليوم ، لأن مصر تختار اليوم لنفسها من مختلف الثقافات ، لتبني ثقافتها القومية ، ولا تقف عند ثقافة دون أخرى

ومع ذلك فما تزال الثقافة والآداب الفرنسية تحظى منا بأكبر عناية ؛ وما تزال فرنسا تجذب منا أكبر عدد من الزائرين ؛ وما يزال اسم باريس يثير في نفوسنا سحرا لا يقاوم ؛ بل إن كثيراً من أولئك الذين لم يروا باريس يعرفونها معرفة عقلية وروحية شاملة : يعرفونها من الكتب والصحف والسينما ، وتربطهم بها روابط فكرية قوية ؛ وما تزال أول أمنية للسائح المبتدئ أن يرى باريس

وقد حظيت باريس من العربية بكتب ورسائل عديدة ، وحظيت في العهد الأخير بكتابين لاثنين من كتابنا المعروفين ، وصفت فيهما معاهدها ومغانيها وجوانب كثيرة من حياتها الاجتماعية ، وانك لتقرأ في الكتابين فصولاً وشذوراً تفيض اعجاباً بفرنسا وباريس وكل ما هو فرنسي ، بل إنك لتشعر من خلال تلك الفصول الحارة المتدفقة أن فرنسا هي أمة الأمم ، وأن باريس هي مدينة المدن وإلهة الجمال والعلوم والفنون ؛ وما زالت هذه الألوان الوردية المغرقة تطبع كل ما نكتب عن فرنسا وباريس

على أنه يلوح لنا أن هذه الفتنة التي قد تجد مبرراتها في بعض المؤثرات والظروف الخاصة ، والتي تثيرها في معظم الأحيان